قد منّ علينا اي سبقتنا تحاشيا عن خطابه بلفظ منت اد باوانه اولى
خلاف المتبادر لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله ومن يطع الله
والرسول الاية وفي هذا ان قايلي ذلك جمع كثير لقوله اصحاب
محمد وذكر بالبنا للفاعل اي ابن ابي حاتم ايضا بسنده عن عكرمة
مولى ابن عباس مرسلة قال اتى فتى ~~اي نراك ونتمتع برؤيتك~~
اي صغير السن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
ان لنا منك نظرة في الدنيا اي فانا نراك ونتمتع برؤيتك فيها
وعبر بالوحدة لقصر المدة ويوم القيامة لا نراك لانك في الجنة
في الدرجات العلى فانزل الله هذه الاية وللطبراني وابن مردويه
بسند لا باس به عن عايشة قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انك لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من ولدي
واني لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتى اتي فانظر اليك واذا
ذكرت موتي وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
واني اذا دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه النبي صلى الله
عليه وسلم شيا حتى نزل جبريل بهذه الاية ومن يطع الله والرسول
فقال له رسول صلى الله عليه وسلم انت معي في الجنة ان شا
الله كما هو بقية رواية عكرمة واخرج ابن جرير نحوه من مرسل
سعيد بن المسيب ومسروق والربيع وقتادة والسدي وفيها
روايات اخر بنحوها سياتي ان شا الله تعالى في مقصد
محبته عليه الصلاة والسلام وهو السابع التالي لهذا لكن قال
المحققون لا ننكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه
الاية يجب ان يكون شيا اعظم من ذلك اي انه لا ينحصر في
تسلية المحبين له والتخفيف عنهم بل يشمل ذلك وغيره وهو الحث
على الطاعة والترغيب فيها فانا نقول ان خصوص السبب لا يقدح
في عموم اللفظ اي لا يكون قاصرا خلافا لزاعمه فهذه الاية
عامة في حق جميع المكلفين خصهم لوقوع الثواب بعد الاجر.
المستفاد من قوله من يطع اذ الاطاعة فرع الامر والنهي وكلاهما
خاص بالمكلف اذ لا خطاب يتعلق بفعل غيره وصحة عبادة
الصبي واثابته عليها لامره بها لاعتيادها فلا يتركها ان شا الله
ذلك وهو اي الامر الاعظم ان كل من اطاع الله واطاع الرسول
فقد فاز ظفر بالدرجات العالية والمراتب المنازل الشريفة عند الله
تعالى ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكتفي
بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفي في جانب
الثبوت ذلك المسمى مرة واحدة فاذا قيل صلى مثلا يكفي من عهدة
الطلب بصلاة واحدة لان الامر بالشي لا يقتضي فورا ولا تكرارا
وخرج بالثبوت النهي وامتثالا انما يحصل بترك جميع المنهيات لكن
لابد ان يحمل على غير ظاهره وان يحمل الطاعات على فعل جميع المامورات

١١٣

وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الكفار
والفساق لانهم قد ياتون بالطاعة الواحدة وذلك غير مراد فوجب
حمله على غير ظاهره قال الرازي الامام فخر الدين فقد ثبت
في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقب الصفة كقوله هنا فاولئك مع
الذين الخ بعد قوله ومن يطع مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف
واذا ثبت هذا اي حيث ثبت هذا وتقرر في الاصول فنقول قوله من يطع الله اي في
كونه الها وطاعة الله في كونه الها هي معرفته بالايات الدالة عليه
والاقرار الاعتراف بجلاله عظمته وعزته غلبته وكبريائه عظمته
قال تعالى وله الكبريا في السموات والارض وصمديته احتياج الخلق اليه على
الدوام فصارت هذه الاية تنبيها اي منبهة على امرين عظيمين من احوال
المعاد فالاول ان منشا جميع السعادات يوم القيامة اشراق الروح
بانوار معرفة الله المودية الى الايمان به وطاعة امره فكل من كانت هذه
الانوار في قلبه اكثر وصفاؤها اقوى كان الى السعادة اقرب والى
الفوز بالنجاة اوصل اكثر وصولا والثاني ان الله تعالى ذكر في الاية
السابقة على هذه الاية وعد مصدر اهل الطاعة بالاجر العظيم
والثواب الجسيم وفي نسخة الجزيل بقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون
به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم الاية ثم ذكر في هذه الاية
وعدهم بكونهم مع النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وليس
المراد انه يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين
كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة
بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز بدلالة النصوص الكثيرة
فالمراد بكونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وان بعد
المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية
والتلاقي قدروا على ذلك اذ لو عجزوا عنه لتحسروا ولا حسرة في الجنة
فهذا هو المراد من هذه المعية لا المساواة في المنزلة وقد ثبت وصح
اتى به ليبين ان مراده بالثبوت الصحة لما تقدم في علوم الحديث هل لفظ
ثبت يختص بالصحيح او يشمل الحسن قال السيوطي وهل يخص بالصحيح
الثابت او يشمل الحسن نزاع ثابت وزعم ان الثبوت لا يستلزم الصحة لجواز
انه مع ثبوته ضعيف او حسن فعلي لم ينقله احد عنه انه صلى الله عليه
وسلم انه قال كما اخرجه الشيخان من حديث انس وابن مسعود
وابي موسى جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف تقول في رجل
احب قوما ولما يلحق بهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب
زاد الترمذي من حديث انس وله ما اكتسب وفي لفظ قال رجل يا رسول
الله متى قيام الساعة قال وما اعددت لها قال ما اعددت لها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)